الدرس السادس

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه وتستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

قال الإمام المؤلف رحمه الله تعالى وغفر له وللشارح والسامعين :

باب قول الله تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ((تَجِيءُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ فَتَجِيءُ الصَّلَاةُ فَتَقُولُ يَا رَبِّ أَنَا الصَّلَاةُ، فَيَقُولُ إِنَّكِ عَلَى خَيْرٍ ، ثم تَجِيءُ الصَّدَقَةُ فَتَقُولُ يَا رَبِّ أَنَا الصَّدَقَةُ، فَيَقُولُ إِنَّكِ عَلَى خَيْرٍ ، ثُمَّ يَجِيءُ الصِّيَامُ فَيَقُولُ أَيْ يَا رَبِّ أَنَا الصِّيَامُ ، فَيَقُولُ إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ ، ثُمَّ تَجِيءُ الْأَعْمَالُ عَلَى ذَلِكَ فَيَقُولُ اللَّهُ إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ ، ثُمَّ يَجِيءُ الْإِسْلَامُ فَيَقُولُ يَا رَبِّ أَنْتَ السَّلَامُ وَأَنَا الْإِسْلَامُ ، فَيَقُولُ : إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ؛ بِكَ الْيَوْمَ آخُذُ وَبِكَ أُعْطِي ، قَالَ اللَّهُ تعالى فِي كِتَابِهِ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥])) رواه أحمد .

****

قال المصنف رحمه الله وغفر له : ((**باب قول الله تعالى ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾**)) ؛ عقد هذه الترجمة ليبين بها أن الله ﷻ لا يقبل ديناً غير الإسلام الذي أنزله تبارك وتعالى وشرعه وأمر به ، فهو ﷻ خالق هذا الخلق والحُكم له ﷻ ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[يوسف:٤٠] ؛ فالله ﷻ لا يقبل من الناس أن يتقربوا إليه بأي دين كان ، وإنما لا يقبل منهم ﷻ إلا التقرب بدين الإسلام كما مر معنا قول الله ﷻ ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾[آل عمران:١٩] ، فالدين الذي ارتضاه الله ﷻ لعباده ولا يقبل منهم ديناً سواه هو دين الإسلام .

وعرفنا في الباب الذي قبل هذا الباب تفسير الإسلام من خلال ما ساقه المصنف رحمه الله من النصوص الشرعية المفسرة للإسلام المبينة لحقيقته . وعرفنا أن الإسلام يعني : استسلام القلب لله ﷻ ، وانقياد الجوارح وامتثالها وطواعيتها لأمره ﷻ ؛ ((أن تسلِم وجهك لله وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة)) .

وعرفنا أيضا أن الإسلام الذي هو استسلام لله تبارك وتعالى لابد فيه من أمرين :

١- أن يكون الاستسلام لله : أي خالصاً .

٢- وأن يكون ذلك بما شرع الله جل وعلا : أي لدينه الذي شرع موافقاً .

فلا يُستسلم لله ﷻ بأي أمر ، ولا أيضا يُجعل الاستسلام لغيره . فحقيقة الإسلام : الاستسلام لله ﷻ بالإخلاص وفِعل ما شَرَع ، وقد قال مصنف هذا الكتاب رحمه الله في شرح الإسلام : «هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك»؛ هذه حقيقة الإسلام : إخلاص للمعبود وإتباع للرسول ﷺ.

((**وقول الله ﷻ: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾**)) ؛ جاءت هذه الآية في مساق الرد على المجادلين للنبي ﷺ في الإسلام ، المعترضين على هذا الدين العظيم الذي بعث الله تبارك وتعالى به رسوله ﷺ ، وفي القرآن أجوبة كثيرة على هؤلاء وعلى اعتراضاتهم وعلى شبهاتهم وعلى انتقاداتهم وعلى تخطئاتهم للرسول صلوات

الله وسلامه عليه ، قد مر معنا قريبا قول الله ﷻ: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ [آل عمران:٢٠] ، وقبلها بآيتين قال: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾، وهنا هذا السياق الذي ورد فيه قوله ﷻ : ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا ﴾ ، يقول الله ﷻ في الآية التي قبل هذه الآية وكذلك في الآية التي قبلها: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ ﴾ أي الإسلام الذي شرعه الله وأنزله على رسله عليهم صلوات الله وسلامه ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣) قُلْ آمَنَّا ﴾ يعني قل يا أيها النبي لهؤلاء الذين يبتغون غير الإسلام ويطلبون لأنفسهم ديناً غير الدين الذي شرعه الله ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٨٤) وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ .

قوله ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا ﴾ : أي غير هذا الدين الذي شرعه الله ﷻ وذُكرت خلاصته في الآية التي تسبق هذه الآية ، لأن قوله ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ ﴾ إلى تمام الآية هذه تُعدّ من جوامع الآيات في بيان خلاصة دين الله تبارك وتعالى ، ونظيرها ما جاء في سورة البقرة ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا ﴾ [البقرة/١٣٦] ؛ في سورة البقرة قال ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا ﴾ ، وفي سورة آل عمران قال: ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا ﴾ ؛ ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ ﴾ لأن القرآن أنزل على الرسول عليه الصلاة والسلام ، وجبريل نزل به على محمد ﷺ ، لم ينزل به على كل فرد من أفراد المسلمين وإنما نزل به على خيارهم وعلى أفضلهم وعلى صفوتهم محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه. ولهذا فُرِّق بين من أُنزل عليه الكتاب وبين من أُنزل إليهم الكتاب ، فهناك قال: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا ﴾ ؛ لأنه أنزل إليهم بواسطة الرسول عليه الصلاة والسلام ، أما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا ﴾ ؛ لأنه أنزل عليه صلوات الله وسلامه عليه مباشرة بواسطة الملك ؛ أنزل عليه هو ﷺ .

هذه الآية وآية البقرة هما من جوامع الآيات لبيان حقيقة الدين وحقيقة الإسلام . وذُكر في هذه الآية ما يدل على أن الإسلام عقيدة وشريعة ، إيمان وعمل ؛ صُدِّرت الآية بالإيمان وخُتمت بالإسلام ، وهذه هي حقيقة الدين ؛ حقيقة الدين : إيمان يُعمَر به القلب ، وإسلامٌ تمضي عليه الجوارح وتنقاد ، ولهذا قال ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ هذا هو الإيمان ، ثم خُتمت الآية بالإسلام الذي هو العمل والانقياد ﴿ وَنَحْنُ لَهُ

مُسْلِمُونَ ﴾ ؛ فجُمع فيها بين حقيقة الدين وهو عقيدة وشريعة ، إيمانٌ وعمل؛ إيمان بالله ﷻ رباً خالقاً رازقاً منعِماً متصرفاً ، إيمانٌ بأسمائه ﷻ الحسنى وصفاته العظيمة ، إيمانٌ بأنه المعبود بحقٍ ولا معبود بحق سواه ، وصرْف العبادة كلها له تبارك وتعالى دون أن يُجعل معه شريك في شيء منها ، وإيمان بالله بالإيمان بكل ما أمر ﷻ به من أصول الإيمان وحقائق الدين، ومن ذلكم : الإيمان بوحيه المنزّل وما تضمّنه من عقائد وما اشتمل عليه من أحكام.

قال : ﴿ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا ﴾ ؛ وقد أنزل على نبينا عليه الصلاة والسلام القرآن الكريم الذي خُتمت به الشرائع ، فمن الإيمان بالله : الإيمان بالقرآن والإيمان بالكتب المنزلة قبله ، ولهذا قال : ﴿ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾ ؛ فالإيمان بجميع الكتب المنزلة من الإيمان بالله ، فمن لا يؤمن بكتب الله ﷻ المنزلة ليس مؤمناً بالله ﴿ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ ﴾ ، وكذلك من لا يؤمن برسل الله الذين اختارهم الله ﷻ واصطفاهم واجتباهم وأنزل عليهم وحيه وكلامه وذِكره الحكيم ، من لا يؤمن برسل الله ليس مؤمنا بالله .

فقوله ﴿ أُنْزِلَ ﴾ هذا يتضمن الإيمان بعدة أمور :

- بالمُنزِل؛ وهو رب العالمين الذي أنزل الكتاب وتكلم بالوحي .
- ويتضمن الإيمان بالواسطة الذي تولى الإنزال؛ وهو الملَك .
- ويتضمن من أنزل إليه الكتاب ؛ وهو الرسول ﷺ .
- ويتضمن الإيمان بالكتاب الذي أنزِل .

﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٥] فهذا الجانب الأول من الدين ؛ وهو جانب العقيدة .

والجانب الآخر : جانب الشريعة وهو العمل جاء في خاتمة الآية بقوله ﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾: أي منقادون ممتثلون مطيعون ، ما يأمرنا به نفعله وننقاد له ﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ ، والإسلام : هو الاستسلام والانقياد لله تبارك وتعالى .

فدلت هذه الآية –ونظائرها في القرآن كثير– أن الإسلام عقيدة وشريعة ، إيمان وعمل ، ليس الإيمان اعتقاد بلا عمل ، ولا أيضا عمل بلا اعتقاد ؛ الإيمان اعتقاد وعمل ، الإيمان : عقائد صحيحة عظيمة ينطوي عليها القلب ويدين بها ، وأعمال زاكية صالحة يمتثلها العبد ويقوم بها طواعية لله ﷻ وامتثالاً لأمره . هذا هو الإسلام . وهذه هي حقيقته شُرحت باختصارٍ وإيجاز في هذه الآية الكريمة .

ثم عقبها مباشرة قال : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ ؛ أي من يبتغ غير هذا الإسلام الذي شُرع وبُيّن في القرآن الكريم وبُين في إيجاز واختصار في الآية التي قبل هذه الآية فلن يُقبل منه ، من لا يؤمن بعقائد الدين الصحيحة ولا يمتثل لأعمال الدين وطاعاته الزاكية فهو في الحقيقة لم يبتغِ الإسلام دينا ؛ فيتناوله ما ذُكر في الآية وهو الخسران في الدنيا والآخرة ، قال : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ؛ ﴿يَبْتَغِ﴾: أي يطلب لنفسه وأيضا لغيره بالدعوة إلى الضلال والباطل ، ﴿غَيْرَ الْإِسْلَامِ﴾ : أي غير دين الله ﷻ ، وقوله ﴿الْإِسْلَامِ﴾ هنا يتناول عقائد الدين الصحيحة ، ويتناول أعماله الزاكية الصالحة ؛ وهذان الجانبان بُيّنا باختصار في الآية التي قبل هذه الآية ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ : أي يُردّ عليه ؛ مهما بذل من عمل ومهما اجتهد ولو واصل الليل والنهار لن يُقبل منه ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤] .

فقوله ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ : أي يُرد عليه ، ثم لا يقف الأمر عند هذا الحد بأن يُرَدَّ عليه عمله ثم يكون الأمر مستوياً لا له ولا عليه! بل يُرد عليه ويبوء بالخسران ، ولهذا ختم الآية بقوله ﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ؛ خسِر الثواب ، خسِر رضا الله ، خسِر النجاة من عقوبة الله ؛ يأتي يوم القيامة خاسراً ، بخلاف المسلم فإنه يأتي يوم القيامة رابحاً ينال الفلاح ورضا الله وجنته والنجاة من سخطه وعقابه ، وقد مر معنا قريبا قول النبي ﷺ ((كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى ؟ قَالَ مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى)) .

وقول الله ﷻ في هذه الآية ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا ﴾ ؛ فيه دلالة ظاهرة على أن العمل بغير ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام هو من الأمور المردودة ، لأنها عمل بغير الإسلام ، عرفنا أن الإسلام هو دين الله المنزّل ؛ فمن عمل بغير هذا الدين المنزل فعمله مردود عليه ، فتضمنت الآية في دلالتها إبطال البدع والمحدثات وكل ما يخترعه الناس في باب التقرب إلى الله تبارك وتعالى، فهذا كله ردٌ على صاحبه وغير مقبول منه ؛ ولأجل هذا أورد المصنف رحمه الله في هذا الباب قول النبي ﷺ ((مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ)) : أي مردود على صاحبه غير مقبول منه .

ثم أورد رحمه الله في هذه الترجمة حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ ((**تَجِيءُ الْأَعْمَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَتَجِيءُ الصَّلَاةُ فَتَقُولُ يَا رَبِّ أَنَا الصَّلَاةُ فَيَقُولُ إِنَّكِ عَلَى خَيْرٍ ، ثُمَّ تَجِيءُ الصَّدَقَةُ فَتَقُولُ يَا رَبِّ أَنَا الصَّدَقَةُ**

فَيَقُولُ إِنَّكِ عَلَى خَيْرٍ ، ثُمَّ يَجِيءُ الصِّيَامُ فَيَقُولُ أَيْ يَا رَبِّ أَنَا الصِّيَامُ فَيَقُولُ إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ ، ثُمَّ تَجِيءُ الْأَعْمَالُ عَلَى ذَلِكَ)) أي على هذا المنوال ، تأتي الأعمال عملاً عمل ، كل عملٍ يخبر عن نفسه ؛ الصيام يقول أنا الصيام ، والصلاة تقول أنا الصلاة ، والحج يقول أنا الحج ، تأتي الأعمال والله ﷻ يقول في حق كل عمل **((إِنَّكِ عَلَى خَيْرٍ))** .

قال: ((**ثُمَّ يَجِيءُ الْإِسْلَامُ فَيَقُولُ يَا رَبِّ أَنْتَ السَّلَامُ وَأَنَا الْإِسْلَامُ**)) أنت السلام : أي السلام اسمك ؛ «السلام» اسم من أسماء الله ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ﴾ [الحشر:٢٣] ، و«السلام» اسم فيه تنزيه الله ﷻ عن النقائص والعيوب ، السلام : من السلامة ، والسلامة أي من النقص والعيب ، فالله ﷻ منزه عن النقائص ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات:١٨٠-١٨٢] .

قال **((أَنْتَ السَّلَامُ وَأَنَا الْإِسْلَامُ))** ؛ والإسلام : هو استسلامٌ لله ﷻ وانقياد له وإخلاص للدين له تبارك وتعالى، فيقول الإسلام: **((يَا رَبِّ أَنْتَ السَّلَامُ وَأَنَا الْإِسْلَامُ))** .

((فَيَقُولُ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ بِكَ الْيَوْمَ آخُذُ وَبِكَ أُعْطِي)) ؛ وهذا فيه دلالة على ما سبق ؛ وهو أن الله ﷻ لا يقبل ديناً إلا إذا كان مبنياً على الإسلام ، فإذا جاءت الصلاة وجاء الصيام وجاء الحج وجاءت الصدقة وجاءت هذه الأعمال ؛ إذا كانت مبنيةً على الإسلام قائمة عليه فإنها تُقبل عند الله **((بِكَ الْيَوْمَ آخُذُ وَبِكَ أُعْطِي))** ، فلا يقبل الله ﷻ أي عمل ولا يعطي أي ثواب إلا بوجود الإسلام . **((بِكَ آخُذُ))** : أي قبول الله تبارك وتعالى للأعمال . **((وَبِكَ أُعْطِي))** أي إعطاءه تبارك وتعالى للثواب والنعيم . **((بِكَ آخُذُ وَبِكَ أُعْطِي))** ؛ فإذا جاء الإنسان بصلاة وصيام وحج ولم يأتِ بالإسلام فلا يُقبل منه صلاة أو صيام أو غير ذلك من الأعمال لأن الإسلام هو الذي به قبول الأعمال ، فإذا وجد الإسلام الذي يتضمن أمرين كما سبق : إخلاص للمعبود ومتابعة للرسول عليه الصلاة والسلام ، فإذا كان حال الإنسان مخِلاً بهذا لا يقبل الله منه العمل ، الصلاة إذا لم تكن خالصة لا يقبلها الله ، وإذا كانت على غير وفق الشرع المنزل لا يقبلها الله، وقل مثل ذلك في كل عمل ، فبالإسلام قال : **((بِكَ آخُذُ وَبِكَ أُعْطِي))** ؛ «**بك آخذ**»: القبول ، «**وَبِكَ أُعْطِي**» : أي الثواب .

قال: **((ثُمَّ يَجِيءُ الْإِسْلَامُ فَيَقُولُ يَا رَبِّ أَنْتَ السَّلَامُ وَأَنَا الْإِسْلَامُ ، فَيَقُولُ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ بِكَ الْيَوْمَ آخُذُ وَبِكَ أُعْطِي، فَقَالَ اللَّهُ تعالى فِي كِتَابِهِ ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾**)) والآية الشاهد فيها واضح لمعنى الحديث ؛ وذلك بأن الأعمال وأنواع العبادات لا تكون مقبولة مرضية مشكورة عند الله ﷻ إلا إذا كانت قائمة على الإسلام ، والله ﷻ يقول : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى

إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠] فيها أن الله ﷻ لا يقبل الطاعات وأنواع العبادات إلا بالإخلاص للمعبود والمتابعة للرسول ؛ الإخلاص في قوله ﴿ وَلَا يُشْرِكْ﴾ ، والمتابعة في قوله ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ ؛ والعمل الصالح هو دين الله الذي أنزله على رسله الكرام عليهم صلوات الله وسلامه .

قال المصنف رحمه الله : ((**رواه أحمد**)) أي في مسنده . وفي مسند الإمام أحمد عقِب هذا الحديث قَالَ أَبُو عَبْد الرَّحْمَنِ عبد الله بن أحمد بن حنبل رحمه الله : «فيه عَبَّادُ بْنُ رَاشِدٍ وهو ثِقَةٌ -يعني في الإسناد- والْحَسَنَ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ» ؛ لأن الإمام أحمد رحمه الله ساقه في مسنده من طريق عبّاد بن راشد عن الحسن عن أبي هريرة ﷺ ، فعلّق أبو عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد رحمه الله على هذا الحديث بالإشارة إلى توثيق عبّاد ، وعبَّاد هذا مختلف فيه توثيقاً وتجريحاً ؛ وعدد من أهل العلم ضعّفوه ، والإمام أحمد وبعض أهل العلم وثّقوه . قال عبد الله : «عباد ثقة ، والحسن لم يسمع من أبي هريرة» .

قال رحمه الله :

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ)) رواه أحمد .

****

قوله ((**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا**)) أمْر النبي عليه الصلاة والسلام هو الإسلام ، ورب العالمين قال: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ ، فالحديث بمعنى الآية ؛ الله ﷻ قال في الآية ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ ، ونبينا ﷺ قال : ((**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**)) أي فلن يقبل منه . معنى قوله ((فَهُوَ رَدٌّ)) هذا مصدر ، أُطلق المصدر وأريد اسم المفعول ، أي مردود ، ((رد)) أي مردود على صاحبه غير مقبول منه . فقوله ((فَهُوَ رَدٌّ)) هو بمعنى قوله ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ . فمن عمل عملاً ليس عليه أمرنا ؛ وأمره ﷺ هو الإسلام الذي بلّغه عليه الصلاة والسلام وافياً بلا نقص ، فمن عمل بغير الإسلام لا يقبل الله منه حتى ولو كان مخلِصاً في عمله ، لا يقبل الله ﷻ منه إذا لم يكن عمله قائم على الإتباع والاقتداء والتمسك بدين الله تبارك وتعالى .

فالمصنف أورد الحديث هنا مع أنه سبق أن مر عند المصنف في بابٍ سابق ؛ أراد بإعادته أن ينبه أن هذا الحديث بمعنى الآية ، فقوله ((**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**)) هو بمعنى قوله ﷻ : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا

فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ ؛ لأن أمْر النبي عليه الصلاة والسلام هو الإسلام ، فمن عمل بغير الإسلام لا يقبل الله تبارك وتعالى منه مهما وضع لنفسه من مبررات . إذا كان المجال مفتوح والباب مُشرع لكل أحد يعبد الله بما شاء يحدِث ويخترع وينشئ ؛ فما الفائدة من بعثة الرسل !! ولهذا مر معنا كلمة الإمام مالك رحمه الله العظيمة في هذا الباب مستدلاً عليها بقول الله ﷻ ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣] في إبطال البدع والخرافات والأعمال التي ما أنزل الله تبارك وتعالى بها من سلطان .

قال رحمه الله تعالى :

باب وجوب الاستغناء بمتابعة الكتاب عن كل ما سواه

وقول الله تعالى ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ **الآية** [النحل:٨٩] .

****

ثم قال رحمه الله : ((**باب وجوب الاستغناء بمتابعة الكتاب عن كل ما سواه**)) ؛ الاستغناء هو: الاكتفاء وعدم البحث عن شيء آخر ؛ أن يكون غنياً ومستغنياً بما أنزل الله تبارك وتعالى على رسله الكرام .

قال : ((**باب وجوب الاستغناء بمتابعة الكتاب**)) : أي بلزوم ما جاء في كتاب الله ﷻ . والكتاب المراد به هنا: الكتاب المعهود المعروف المنزّل على الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام وهو القران الكريم خاتمة الكتب المنزلة ؛ الاستغناء به : أي الاكتفاء به ، وإلى هذا الاكتفاء جاءت الإشارة في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ ﴾ [العنكبوت:٥١] ؛ أي أنه فيه كفاية وفيه غُنية ولا يحتاج الناس إلى شيء آخر سواه لأنه كافي وفيه غنية ، قال ﷻ : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء:٩] .

وأورد قول الله ﷻ: ﴿ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل:٨٩] ؛ فالكتاب فيه الوفاء وفيه الغنية وفيه الكفاية فوجب الاستغناء به ؛ أي الاكتفاء بكتاب الله ﷻ عن كل ما سواه ، يعني عن كل أمر سوى كتاب الله تبارك وتعالى من الأمور المحدثات ، والأعمال المخترعات ، والبدع والأهواء ، والتجارب التي يبنى عليها أديان وأعمال ، وأيضا الأعمال المبنية على العقول والتخرصات ، وكذلك الأعمال المبنية على القصص والمنامات ، إلى غير ذلك من طرائق الاستدلال التي وُجدت عند الناس هاجرين بها كتاب الله ﷻ ، كتاب الله ﷻ بينهم يُتلى ثم إذا أراد المستدل منهم أن يستدل في الدين يقول : "رأيت في المنام كذا "!! أو يقول " جرّبت وجرب أشياخي " !! أو يقول " هذا أمرٌ أجد فيه ذوقا " !! أو يحكي قصة يبني عليها دين وعمل !! كتاب الله ﷻ الذي نزّله ونزّل به شرعه ودينه يُتلى حجة الله ﷻ على عباده بين أيديهم ؛ ثم تُترك الحجة وتبنى الأديان على عقول وعلى أذواق

وعلى قصص وعلى منامات وعلى حكايات وعلى تجارب إلى غير ذلك !! فهذا كله هجر لكتاب الله ﷻ، ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان:٣٠] ؛ هذا هجر للقرآن ، وهجر القرآن – كما بيّن العلماء – بهجر التلاوة ، وهجر الفهم ، وهجر العمل ؛ يهجر القرآن بأن لا يتلوه ، ويهجر القرآن بأن لا يحرص على فهمه ، ويهجر القرآن بترك العمل بما جاء في القرآن الكريم .

فما سوى القرآن يشير المصنف إلى هذه المصادر . القرآن هو المنبع العذب الصافي النقي الذي لا كدر فيه ولا شائبة ، ويشير بقوله ((وترك ما سواه)) إلى هذه المصادر . ومصادر الاستدلال لدى الناس لا حدّ لها ولا عدّ ، وأنت إذا أردت أن تعرف سبب تنوع العقائد وكثرتها ، وأيضا تباين الأعمال وتعددها واختلافها بين الناس ؛ فالسبب وراء ذلك كله تنوّع المصادر ، ناسٌ مصدرهم العقل ، وآخرون التجارب ، وآخرون المنامات ، وآخرون القصص والحكايات ؛ وهكذا ؛ مصادر اتخذها الناس لطلب الدين وابتغاء الدين فنشأت عندهم أنواع الضلالات والباطل. ولهذا عقد المصنف رحمه الله هذه الترجمة مبيّناً وجوب الاستغناء بكتاب الله ﷻ ، ومعنى الاستغناء بكتاب الله: أي الاكتفاء بالقرآن عن كل ما سواه .

وسنة نبينا ﷺ العمل بها من العمل بالقرآن ؛ لأن من لم يعمل بالسنة هو في الحقيقة لم يكتفِ بالقرآن لم يعمل بالقرآن ، لأن معنى الاكتفاء بالقرآن : يقول ((**الاستغناء بمتابعة الكتاب**)) ؛ هل من لا يعمل بالسنة متّبع للكتاب ؟ أين إتباعه لقول الله ﷻ : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر:٧] ؟ أين إتباعه لقوله ﷻ : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾[النساء:٦٥] ؟ أين إتباعه لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾[النساء:٦٩] ؟ ، ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ [النور:٥٤] ؟ أين إتباعه لقول الله ﷻ: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١] ؟! فالذي لا يعمل بالسنة هو ليس من أهل القرآن ، لأن القرآن فيه آيات كثيرة جداً فيها الأمر بإتباع الرسول عليه الصلاة والسلام وتحكيمه وامتثال أمره والانتهاء عن نهيه ، وقرَن رب العالمين طاعة الرسول عليه الصلاة والسلام بطاعته في آيات كثيرة في القرآن الكريم .

فقول المصنف رحمه الله ((**الاستغناء بمتابعة الكتاب**)) لم ينص عليها بالذكر هنا لأنها من إتباع الكتاب ؛ من لا يعمل بالسنة هو في الحقيقة لا يعمل بالقرآن الكريم ، الله ﷻ قال : ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾[الأنعام:٧٢] كيف نقيمها ؟ هذه الصلوات الخمس بعدد ركعاتها وأعمالها وأنواع شروطها وواجباتها تفاصيل ذلك أين جاءت ؟! أيضا بقية الأعمال ؛ الحج ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾ [آل عمران:٩٧] ، أعمال الحج كيف جاءت ؟! قال: ((لِتَأْخُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ)) ، في الصلاة قال: ((صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي)) . فالذي لا يعمل بالسنة هو في الحقيقة لا يعمل بالقرآن . وفي الأزمنة المتأخرة نشأت طائفة سمّوا أنفسهم «القرآنيون» ؛ يزعمون أنهم لا يعملون إلا بالقرآن فقط

ولا يعملون بالسنة ، وهؤلاء ليسوا من أهل القرآن ولا من حزب القرآن ، هؤلاء من حزب الشيطان ومن أولياء الشيطان ، وحقيقة أمرهم عدم العمل بالقرآن ، أين عملهم بالقرآن في آيات كثيرةً جداً فيها الدعوة إلى إتباع الرسول عليه الصلاة والسلام وطاعته والاقتداء به والتحاكم إليه ورد النزاع إليه ؟! ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [النساء:٥٩] ، والسنة هي وحي ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾[الأحزاب:٣٤] ، الحكمة: هي السنة وحي منزل من رب العالمين ، قال تعالى:﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [النجم:٣-٤] ، فالسنة وحي . فالذي لا يعمل بالسنة هو في الحقيقة لا يعمل بالقرآن ، ومن لم يكن من أهل السنة والعمل بها ليس من أهل القرآن .

قال: ((**باب وجوب الاستغناء بمتابعة الكتاب عن كل ما سواه**)) ؛ «عن كل ما سواه» ضع تحتها كل مصادر الاستدلال التي وُجدت عند أهل البدع والضلال . وما هي مصادر الاستدلال عند أهل البدع ؟ كثيرة ؛ العقل مصدر ، والهوى مصدر ، والمنامات مصدر ، والقصص مصدر ، والتجارب مصدر ؛ هذه كلها مصادر يستدلون بها ، فهذه كلها داخلة تحت قول المصنف: ((**عن كل ما سواه**)) . فالدين قال الله قال رسوله ، وفيهما غُنية وكفاية كما قال الله ﷻ: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ ﴾ .

ثم أورد رحمه الله قول الله ﷻ : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ؛ هكذا وصف الله ﷻ الكتاب المنزل القرآن الكريم ، وصفه الله ﷻ بهذه الصفة العظيمة ﴿ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ؛ يعني لا يحتاج الناس إلى شيء تتحقق به سعادتهم وفلاحهم وسلامتهم وفوزهم في الدنيا والآخرة إلا وبُيّن في كتاب الله ﷻ ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ؛ فإذا كان نُزِّل إلى الناس كتاب بُيِّن فيه كل شيء اشتمل على مصالح الناس وما فيه سعادتهم في دنياهم وأخراهم فلِم يهجرونه ويقبِلون على ما سواه ؟! وهذا وجه الاستدلال بالآية للترجمة ؛ الترجمة : «**باب وجوب الاستغناء بالكتاب عن كل ما سواه**» ، والكتاب بُيِّن فيه كل شيء ، كل ما يحتاجه الناس في صلاحهم وسعادتهم وفلاحهم وسلامتهم في الدنيا والآخرة بُيِّن في الكتاب كما أخبر من نزَّل الكتاب ﷻ قال: ﴿ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ؛ فالواجب الاستغناء به عن كل ما سواه . وسنة النبي عليه الصلاة والسلام شارحة للقرآن ومبيّنة له وموضحة لأحكامه ، وهي تفسير للقرآن الكريم ، ولا يمكن لأحد أن يعمل بالقرآن مع التخلي عن سنة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام .

قال رحمه الله :

روى النسائي وغيره عن النبي ﷺ أنه رأى في يد عمر بن الخطاب ﷺ ورقةً من التوراة فقال : ((أمتهوِّكون يا ابن الخطاب ، لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، ولو كان موسى حياً واتبعتموه وتركتموني ضللتم)) ، وفي رواية ((لو كان موسى حياً ما وسعه إلا إتباعي)) . فقال عمر: «رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا» .

****

قال رحمه الله: ((**روى النسائي وغيره عن النبي ﷺ أنه رأى في يد عمر بن الخطاب ﷺ ورقةً من التوراة**)) ؛ والتوراة هو : الكتاب الذي أنزله الله تبارك وتعالى على عبده ورسوله موسى عليه صلوات الله وسلامه. والتوراة وكذلك الكتب المنزلة قبله وبعده اعتراها التحريف والتغيير والتبديل فلم تبقَ سليمةً كما أُنزلت ؛ بل أدخل فيها ما ليس منها وأخرِج منها ما هو منها ؛ فزيد فيها ونُقِص ، وغُيِّر فيها وبُدِّل ، فهي كتب مبدلة محرفة مغيرة ، وهي كتب أيضا منسوخة نُسخت بالقرآن ، فكل كتابٍ قبل القرآن نُسخ بالقرآن . وبعد نزول القرآن لا يجوز العمل بأي كتاب حتى لو كان سليماً من التبديل والتغيير ، فجميع الكتب التي أنزلت قبل القرآن كتب منسوخة بالقرآن الكريم ؛ فتُترك ويُعمل بالقرآن وحده ويكون الإتباع للقرآن وحده ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : ((وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ))، لأن الله ﷻ بعث محمداً ﷺ بالقرآن وجعل القرآن ناسخاً للكتب التي قبله فلا يُعمل إلا به. وهذا وجه الاستدلال في الحديث للترجمة : «**الاستغناء بكتاب الله**» ، لأن الله ﷻ أنزل القرآن أعظم كتاب على رسول الله عليه الصلاة والسلام أفضل رسول ، وجعل الرسول خاتم الرسل والقرآن خاتم الكتب المنزلة ، فهو أعظمها وأجلّها فكيف لا يُستغنى به !! كيف لا يُكتفى به !! ولماذا والقرآن بين أيدي الناس تُقرأ الكتب التي قبله ويُنظر في الكتب التي قبله !! فالكتب التي قبل القرآن جاء القرآن بنسخها ، ولا يجوز أن تُقرأ تلك الكتب ، ولا يجوز أن تكون مع الإنسان يتصفحها ويقرأها ؛ لما رأى النبي ﷺ في يد عمر ورقة واحده من التوراة – ليست التوراة كاملة – قال: ((**أمتهوكون يا ابن الخطاب**)) ، وعمر هو من هو في الفقه والعلم والدين ؛ فلا يجوز أن تُقرأ التوراة أو الإنجيل أو الكتب المنزلة الأخرى ، بل الواجب الاكتفاء والاستغناء بالقرآن الكريم .

والعلماء رحمهم الله قالوا : النظر فيها قد يسوغ في حالة واحدة للعلماء الأكابر فقط في مقام الرد على هؤلاء وإبطال دينهم ؛ ولهذا النبي عليه الصلاة والسلام في مقام الرد على هؤلاء نزل عليه قول الله تعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [آل عمران:٩٣] ، ففي مقام الرد وإبطال عقائد هؤلاء وبيان ضلالهم من قِبَل العلماء الأكابر الراسخين في العلم قد يسوغ هذا في مثل هذه الحالة ، أما عوام الناس وطلاب العلم والمبتدئين في الطلب يقتني التوراة ويقرأ ويقول ننظر ما عندهم !! أو يفتح الإنترنت ويبدأ يدخل في مواقع ويقرأ هنا وهناك ويسمع لهذا وذاك ؛ هذا من أعظم أبواب الضلال والانحراف.

قال: ((**رأى النبي ﷺ في يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورقةً من التوراة**)) ؛ ورقة واحدة ((**فقال: أمتهوكون يا ابن الخطاب**)) ؛ التهوّك : هو التسرّع والدخول في الأمر بدون رويّة أو نظر ؛ هذا من معاني التهوك التي ذُكرت في كتب اللغة ؛ التهوك: التسرع أو فعل الأمر بدون روية ونظر .

قال: ((**أمتهوكون يا ابن الخطاب لقد جئتكم بها بيضاء نقية**)) ؛ قوله: «لقد جئتكم بها بيضاء نقية» فيه دليل للترجمة : الاستغناء بما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام ، مثل الآية ﴿ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ هذا دليل على وجوب الاستغناء بما جاء به الرسول ، وقوله هنا ((**جئتكم بها بيضاء نقية**)) هذا دليل على وجوب الاستغناء بما جاء به الرسول ، إذا كانت جاءت بيضاء نقية واضحة جامعة وافية ألا يُستغنى بها ؟!

قال: ((**لقد جئتكم بها بيضاء نقية**)) ، في الحديث الآخر قال : ((تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا)) يعني واضحة وافية ؛ فهذا كله من الدلائل على الاستغناء بكتاب الله ﷻ وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، وترك ما سواه .

قوله فيما سبق ((**وترك ما سواه**)) يدخل تحته هنا على سبيل المثال لا الحصر : الأخذ عن بني إسرائيل ، أو عن التوراة ، أو عن الإنجيل ، أو عن الزبور أو غيرها ؛ هذا على سبيل المثال ، فهذا مما وجب تركه ، وأيضا مما وجب تركه : كل مصادر الاستدلال الذي سبق الإشارة إلى شيء منها .

قال: ((**ولو كان موسى حياً واتبعتموه وتركتموني ضللتم**)) ؛ يعني لو كان موسى عليه السلام موجود بين أظهرهم سيدعوهم إلى ماذا ؟ سيأخذون من موسى الدين الذي بُعث به بدون تحريف ، يعني سيأخذون دين غير محرف ، لكن التوراة التي توجد بين أيدي الناس ليست هي الدين الذي بُعث به موسى عليه السلام بل هي محرفة ، فالنبي عليه الصلاة والسلام يذكر لهم أعظم هذا ، يعني أعظم من النظر في التوراة التي بين أيديهم ، لو أن موسى عليه السلام كان بين أظهرهم واتبعوه وتركوا النبي عليه الصلاة والسلام لضلوا ؛ لماذا؟ لأن الأحكام التي أنزلها الله ﷻ على موسى جاء في الإسلام نسخها أو نسخ كثير منها ، ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾[الأعراف:١٥٧] ، جاء في الإسلام وضْع أمور ، ونسْخ أمور ، وإلغاء أحكام ، ومجيء أحكام كما قال الله ﷻ: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة:٤٨] ، فالدين الذي جاء به موسى لقومه ثم بعث الله ﷻ عيسى ، ولما بعث محمد عليه الصلاة والسلام الأخذ بأي دين سواه لا يجوز، لماذا ؟ نرجع للآية ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا ﴾ [آل عمران:٨٥] الإسلام ما هو؟ استسلام لله ، فإذا بعث رسولاً عقِب رسول وأمر بإتباع الرسول الآخر وقال قائل : "أنا لا أتبع الرسول الآخر وإنما أتبع الرسول الأول" ، هو ليس مستسلم لله ، أين إسلامه ؟! الإسلام : هو الاستسلام لله تبارك وتعالى .

ولهذا دارت مناظرة جميلة جداً بين ابن القيم وبين أحد النصارى ذكرها رحمه الله في كتابه «الصواعق المرسلة» ، يقول : «دارت بيني وبين أحد النصارى مناظرة قلت له فيها : لقد سببتم الله –أي أنتم أيها النصارى– سبّة ما سبه بها أحد من العالمين ، فقال: معاذ الله كيف ذلك؟ فقلت لهم : أن الرسول ﷺ محمد بعثه الله وأيَّده بالحجج والبراهين ومكّن لدينه ولا يزال دينه في ظهور وأعدائه في سفول ، ويؤيده بالحجة تلو الحجة وبالبرهان تلو البرهان ، لا يزال مؤيَّدا محفوظاً منصوراً ، وأنتم تقولون أنه نبي كاذب ، فإما أن يكون الله عالمٌ به – يعني عالمٌ بهذا الرجل الذي يزعم بزعم النصارى أنه رسول وهو في الحقيقة ليس رسول بزعمهم – أوليس عالما به ، فإن قلتم ليس عالم به فقد سببتم الله ، وإن قلتم عالما به ؛ فإما أن يكون قادر على الأخذ على يده ومنعه ورده وإما أن يكون غير قادر، فإن قلتم ليس قادر أيضا سببتم الله ، والله يقول ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة:٤٤-٤٧] ، فإن قلتم إن الله عالم به وقادر عليه وأيضا تركه في رِفعة مؤيّدًا محفوظاً فهذا كله سب لله ﷻ ، فتنبه ذلك الرجل وقال : نحن لا نقول أنه نبي كاذب بل هو نبي صادق وأتباعه سعداء ، والعقلاء منا يقولون ذلك ، قال : قلت له: إذا قلت أنه نبي صادق وأن أتباعه سعداء فما الذي يمنعك أن تتبعه وتكون من هؤلاء السعداء ؟ فقال نحن من أتباع عيسى ، وأتباع عيسى أيضا سعداء كما أن أتباع موسى أيضا سعداء ، قال : إن قلت إنه نبي صادق – أي محمد ﷺ – فإن مما جاء به تكفير من لم يؤمن به ، وفي الحديث ((وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ)) ، فإما أن يكون صادقًا في هذا فيلزمك إتباعه ، أو لا يكون صادقًا في هذا فرجعنا إلى الكلام الأول . فقال الرجل: حدِّثنا في غير هذا – أي ابحث لنا في موضوع آخر نتباحث فيه ، أما هذا ما نواصل الحديث فيه» قامت عليه الحجة ولكنه أبى أن يستسلم .

قال: ((**ولو كان موسى حيا**)) هذا فيه فائدة – كما قدمت – وهي : أنه ليس الأمر مقتصراً على التوراة المحرف، ة بل موسى عليه السلام بشخصه ونفسه لو جاء وكان بين أظهر الناس لا يجوز إتباعه ؛ لأن الإسلام هو الاستسلام لله تعالى ، والله ﷻ ختم الرسالات ببعثة محمد عليه الصلاة والسلام ، فمن لم يتبع محمداً ﷺ فليس بمسلم . قال ((**ولو كان موسى حيا وأتبعتموه وتركتموني ضللتم**)) .

قال ((وفي رواية : **لو كان موسى حيا ما وسعه إلا إتباعي**)) ؛ وهذا المعنى أعظم من الذي قبله . ولاحظ التدرج في البيان ، عندنا ثلاثة أمور الآن :

- الأمر الأول : التوراة التي بين أيدينا لا يحل النظر فيها ، والنظر فيها والبحث عن الهدى من خلالها ضلال

.

- والأمر الثاني : ما ذكره النبي ﷺ على وجه الافتراض البياني والإيضاحي قال: ((**لو كان موسى حيا وأتبعتموه وتركتموني ضللتم**)) ؛ يعني لو كان بين أظهركم موسى وأتبعتموه وتركتم إتباعي ضللتم.

- وأمرٌ أعظم من ذلك ؛ قال: ((**لو كان موسى حيا ما وسعه إلا إتباعي**)) .

ومما يبين هذا المعنى أن عيسى عليه السلام عندما ينزل في آخر الزمان لا يحكم الناس بالإنجيل وهو الكتاب الذي أنزل عليه ، وإنما يحكم الناس بالقرآن الكريم ، فبعد بعثة محمد عليه الصلاة والسلام ونزول القران الكريم وجب الاستغناء بالقرآن عن كل ما سواه ؛ سواء في الكتب المنزلة قبله أو غير ذلك من المصادر التي جعلها الناس مأخذًا لهم في الاستدلال .

((**قال عمر** رضي الله عنه : **رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد** ﷺ **نبيا**)) ؛ وهذا فيه سرعة استجابة الصحابة رضي الله عنهم وحُسن استسلامهم ، ونهجهم في ذلك نهج الأنبياء ؛ مسارعة بدون تردد وبدون توقف . مر معنا قريبا آية عظيمة في هذا الباب ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة:١٣١] ، فهنا مجرد ما نُبِّه عمر إلى هذا الأمر أو إلى هذا الخطأ قال: ((**رضيت بالله ربا**)) ؛ مباشرة بدون تردد وبدون تفكير وبدون نظر ، ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾[المؤمنون:٦١] يسابق للاستجابة والامتثال والانقياد ، بعض الناس إذا عُرض عليه الدين الحق يقف متردداً وربما ينتظر ليستشير ، يُعرض عليه الحق البيّن الواضح الظاهر الجلي الذي لا التباس فيه ولا غموض فيقف متردداً!! فعمر رضي الله عنه لما بيّن له النبي عليه الصلاة والسلام هذا الأمر ((**لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا إتباعي**)) قال : «رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا» ؛ فذكر عمر رضي الله عنه الأصول الثلاثة التي قال عنها ﷺ ((ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺرَسُولًا)) ، وعن هذه الأصول الثلاثة يُسأل كل ميت إذا أدخل قبره ؛ يقال له : «من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك ؟» ؛ هذه فتنة القبر ، ثلاث أسئلة محددة معيّنه ، وكل من أدرِج في قبره يأتيه ملكان سود الوجوه زُرق العيون يقال لأحدهم «المنكر» ويقال للآخر «النكير» ؛ لأنهما يأتيان على هيئة منكرة غير مألوفة ولا معروفة ، ويقال لهما «الفتّانان» لأنهما يفتنان الإنسان يمتحنانه في قبره ، والأسئلة التي يمتحن فيها الميت هي هذه : «من ربك؟ ، وما دينك ؟ ، ومن نبيك ؟» .

ولهذا هذه الكلمات الثلاث يحتاج المسلم إلى عناية بها متواصلة ومستمرة ، ومن العناية المتواصلة بهذه الأمور الثلاثة: أن يقول هذه الكلمات عند سماع الأذان ، لما يقول المؤذن أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمد رسول الله يقول : «وأنا أشهد، رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا» كما ثبتت بذلك السنة عن النبي عليه الصلاة والسلام ، وجاء في بعض الأحاديث أنها تقال في الصباح ثلاثا وفي المساء ثلاثا «رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا» ، على اختلاف بين أهل العلم في تحسين أو تضعيف الحديث الوارد في ذلك

. فيحتاج الإنسان إلى عناية عظيمة جداً بهذه الأصول، لأنها تعتبر ركيزة وأصول يقام عليها دين الإسلام ؛ الرضا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا .

ومن نصح مؤلف هذا الكتاب لعموم المسلمين شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ألَّف رسالة أسماها «الأصول الثلاثة» ؛ شرَح فيها هذه الأمور الثلاثة ((**رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا**)) وذكر مع كل أصل من هذه الأصول الثلاثة دلائله من القرآن والسنة كما هي طريقته في جميع كتبه، فهو رحمه الله طريقته في كتبه جمْع الآيات والأحاديث ، فهو في كتابه الأصول الثلاثة جَمَع طائفة من الآيات والأحاديث المتعلقة بهذه الأصول الثلاثة وكتبها بعدة أساليب ؛ كتبها للأطفال، وللعوام، ولطلبة العلم ، ونفع الله برسالته هذه نفعاً عظيماً ، وكان كبار السن يُلقَّنون هذه الأصول تلقينًا وكانت تسمى «الدِّين» ويؤتى بهم ويلقنون هذه الأصول .

كنت من وقت قريب في زيارة لرجل عمره قارب المائة وضعُف ونحُل فلما جلستُ عنده قال لي مستذكراً : الطواغيت كثيرون لا كثّرهم الله ورؤوسهم خمسة ، ثم أخذ يعدِّدهم واحداً تلو الآخر، قال بقي خامس الآن نسيته تذكرني به ؟ فذكرته به . حفظوها منذ الصغر يسمونها «الدين» .

فالمصنف رحمه الله كتَب الأصول الثلاثة بأسلوب مبسط وسهل وكان يحفَّظ الكبار هذه الأصول ويستذكرونها بين الوقت والآخر ، ولما أهمل الناس دينهم دخلت عليهم أنواع من الضلالات انشغلوا بها عن أصول الدين وانشغلوا بها عن هذه الأصول الثلاثة التي يُسأل عنها كل ميت في قبره ؛ ولهذا ينبغي أن تتظافر الجهود من طلبة العلم والدعاة والخطباء وأئمة المساجد على بث هذه الأصول الثلاثة ونشرها بين الناس ، فهي أعظم ما ينبغي أن يُعنى به ويُهتم به ؛ لأنها الأصول التي يُسأل عنها كل ميت عندما يدرج في قبره ؛ الرضا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبيا .

- والرضا بالله ربا : أي الرضا به تبارك وتعالى خالقاً رازقاً منعِماً متصرفاً ، والرضا به معبوداً بحق ولا معبود بحق سواه ، والرضا به حاكماً آمِراً ناهياً ، له الحكم جل وعلا ، وله الأمر ﷻ .

- والرضا بالإسلام : بتلقي الإسلام بالقبول ، وعدم ابتغاء دينٍ سواه ، ومعرفته ، وتعلّمه .

- والرضا بالنبي عليه الصلاة والسلام رسولا : بتصديقه فيما أخبر ، وطاعته فيما أمر ، والانتهاء عما نهى عنه وزجر ، وتلقي ذلك كله بانشراح صدرٍ وإقبالٍ وطواعيةٍ وامتثال.

ونسأل الله تبارك وتعالى أن يكتب لنا أجمعين التوفيق والسداد والهداية والرشاد والإعانة على كل خير ، إنه سميع مجيب .